

كائنات أميركيات

تقديم: د. منير صلاحي الأصبحي

ترجمة: رباب هاشم ، د. منير صلاحي الأصبحي

مقدمة

ليس لمجرد أن عام ١٩٧٥ هو عام المرأة - وإن كان هذا سبباً كافياً بعد ذاته - وإنما أيضاً لأن الأدب القصصي والروائي قد يكون في جوهره أدباً نسائياً . هذا على الأقل ما اعتقده هـ.ل. مينكن H. L. Mencken (١٨٨٠ - ١٩٥٦) - أحد كبار النقاد الأمريكيين في هذا القرن - فهو يقول في مقالته « الرواية » (١٩٢٢) أن النساء هن جمهور الرواية الرئيسي ، وهذه حقيقة يعرفها كل العاملين بالكتب، ولكنهن أيضاً - وهذا مالا يلاحظه الكثيرون - حسبنما يضيف منكن - قد شققن طريقهن الى طليعة صف منتجي هذا النوع من الأدب ، وهو النوع الوحيد - باستثناء الشعر الوجداني - الذي أحرزن فيه في رأيه تقدماً يذكر . وهو يتوقع أن يتزايد نجاح المرأة في الأدب الروائي .

ويعزي منكن هذا النجاح لأسباب قد لاتوافقه غالبية النساء على بعضها وغالبية الرجال على بعضها الآخر . فهو يقول أن النساء لديهن استعداد طبيعي أفضل للعرض الواقعي . فاهتمامهن في رأيه ينصب على أمور ذات « جوهر موضوعي : السقوف والوجبات والأجرة والملايس وولادة وتربية الأطفال » . ويضيف أن المرأة أقل خيالاً ورومانتيكية من الرجل وأنها ترى الحياة بشكل أكثر حدة ومطالبها أكثر اعتدالاً فليس لديها أحلام بالنقود تشتت فهمها للحياة وتفكيرها .

وإذا كان من المحتمل أن تقابل تعليقات منكن أو بعضها بشيء من المعارضة ،

فانه قد يكون من الصعب التصدي لفكرته الأساسية ، وهي أن الرواية فن نسائي .
 قد يعترض البعض قائلين أن الأغلبية الساحقة من عمالقة هذا النوع من الأدب
 مؤلفة من الأدباء الذكور . ولا بد أن هؤلاء سيستشهدون بأسماء مثل دوستوفسكي
 وجويس وفوكنر وپروست وآخرون . لكن مثل هذا الاعتراض هو نتيجة رؤية
 سطحية للتاريخ والواقع . ان علينا أن نأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن المرأة في الغرب
 لم تستطع قبل القرن التاسع عشر أن تغترق بشكل جدي الطوق المفروض على كل
 ما أنتجته دور النشر منذ انتشار الطباعة ، ذلك الطوق الذي كان يمنع المرأة من
 المساهمة العملية في الانتاج الأدبي والفكري . ولئن بدأ عدد النساء العاملات في
 حقل الأدب القصصي والروائي ضئيلاً بعض الشيء بالمقارنة المجردة مع عدد
 الرجال ، فإن هذا العدد نفسه يبدو ضخماً إذا ما أخذنا القيود التي فرضت على
 المرأة عبر القرون الطويلة بعين الاعتبار وإذا لاحظنا أن آثار هذه القيود لا يمكن
 أن تختفي خلال فترة زمنية قصيرة . ونحن نجد أيضاً أن الفارق العددي يتضائل
 باستمرار مع مرور الزمن وربما يكون قد انعدم الآن ، بعد أن تساقط الكثير من
 العواجز والقيود .

ويمكننا من جهة أخرى أن نلاحظ أن بدء انطلاق المرأة الأدبي توافقت تقريباً
 مع بدء ازدهار الفن القصصي الروائي في أوروبا . لذا فإننا نجد أن انكسرت مثلاً
 أنجبت عدداً من الروائيات اللواتي تسلقن إلى قمة الابداع في هذا الفن مثل جين
 أوستن والأخوات برونتي .

ولا يمكن لهذه المجموعة القصصية أن تطمح لأن تكون كافية لتمثيل الأدب
 النسائي القصصي الأمريكي . ان كل ما نسعى اليه في هذه المجموعة هو انجاز
 بداية نأمل أن نتبعها بترجمة أعمال أخرى تضاف إلى هذه المجموعة في المستقبل .

ولقد قصدنا أن تعكس هذه القصص إلى حد ما تطور الفن القصصي - الروائي
 النسوي في أمريكا . فبالرغم من أن قصة إيديث وارتون ، « حمى رومانية » ،
 نشرت بعد القصص الثلاث التي تليها في هذه المجموعة ، فإن المؤلفة تنتمي إلى جيل
 أسبق من زميلاتها وبدأت حياتها الفكرية قبلهن . بل انه من الممكن اعتبار ولا كيثر
 في مطلع حياتها الأدبية تلميذة لها .

وقد يلاحظ القارئ أن هذه المجموعة لا تحتوي أية قصص من القرن التاسع عشر ، والسبب في هذا هو أنه بالرغم من ظهور بعض الكاتبات في الولايات المتحدة في ذلك القرن ، مثل سارا أورن جويت Sarah Orne Jewett (١٨٤٩ - ١٩٠٩) التي برزت في ميدان القصة القصيرة ، فقد كان على المرأة الأمريكية أن تنتظر حتى قرنا العاشر قبل أن تثبت وجوداً محسوساً في الحقل الروائي - القصصي .

ولا شك أن إيديث وارتون (١٨٦٢ - ١٩٣٧) هي أولى الكاتبات الأمريكيات اللواتي حققن نجاحاً باهراً في هذا النوع من الأدب . وهي قد نشرت أولى مجموعاتها القصصية في عام ١٨٩٩ وأول رواية لها في ١٩٠٢ . واعتبرها بعض النقاد تلميذة للكاتب الأمريكي الكبير هنري جيمس ، الذي لا شك أنها تأثرت به تأثراً كبيراً ، ولكن معظم النقاد ومؤرخي الأدب يشهدون بأنها رغم هذا التأثير استطاعت أن تحقق استقلالها الأدبي وأن تطور أسلوبها الخاص المميز . والشبه بينها وبين جيمس قد يكون في العناية الفائقة التي يوليها كل منهما لمادته ، فالأسلوب في قصصهما يأخذ أهمية كبرى . وسيلعلق القارئ هذه العناية في القصة التي اخترناها هنا ، حيث تكتسب التفاصيل الصغيرة التي توردتها الكاتبة في أوائل القصة معاني واضحة لدى اكتمال الحكبة ، ولا بد أن قراءة ثانية للقصة ستتيح للقارئ الاستمتاع بالإبداع الكامن في هذه التفاصيل وفي التلاحم العضوي الذي يتضح تماماً عند النهاية .

وبينما تناولت إيديث وارتون في قصصها المجتمع الأرستقراطي النيويوركي ، فإن ولا كيش (١٨٧٣ - ١٩٤٧) قامت بتصوير مجتمع مختلف تماماً هو مجتمع الغرب ، ولكنها لم تصور هذا المجتمع بالصورة الرومانتيكية التقليدية ، بل ركزت على الجذب الفكري والروحي فيه وعلى انشغاله بالمادة واعتبارها مقياساً للنجاح . والموضوع الذي اختارته في قصصها ورواياتها هو موضوع مألوف : الصراع بين الفنان والجمهور ، بين القلب وما يعتبره الناس نجاحاً ، بين الروح والمادة . ونجد جميع هذه العناصر متوفرة في القصة التي اخترناها هنا - « جنازة النحات » - التي كانت ضمن أول مجموعة قصصية نشرت لها الكاتبة . وقد كتبت ولا كيش عدداً من الروايات كانت أولها « أيها الرواد ! » O Pioneers (١٩١٣) وأهمها « الموت يأتي في طلب الأسقف » Death Comes for the Archbishop (١٩٢٧) ، التي

تعتبر من الروائع الأدبية الأمريكية • وبينما ارتبط اسم ايديث وارتون باسم هنري جيمس فان غوستاف فلووير هو الأديب الذي تأثرت ولا كيثر به والذي يعتبر أستاذها •

وولدت ايلين غلاسفو (١٨٧٤-١٩٤٥) في نفس الولاية التي ولدت فيها ولا كيثر - ولاية قرجينيا - وعاصرتها • لكن اهتمامها لم يكن ينصب كما هي الحال بالنسبة لزميلتها على مجتمع ناشئ ، بل على مجتمع في طريق الزوال • لقد أولت اهتمامها للمجتمع الأرستقراطي الزراعي الأفل في الجنوب • ونجد هذا واضحاً تماماً في قصة « جوردانزاند » ، حيث تمثل عائلة جوردان هذه الطبقة مثلما تمثلها عائلة كوميسون في رواية « الصخب والعنف » لوليم فوكنر • وقد كتبت غلاسفو تسع عشرة رواية ومجموعة واحدة من القصص القصيرة التي تضمنت القصة المترجمة هنا •

أما كاثرين أن پورتر - التي ولدت عام ١٩٠٠ في ولاية تكساس - فقد حققت شهرة مختلفة عما يحققه غيرها من الأدباء ، فبالرغم من أنها لم تحقق نجاحاً شعبياً كبيراً فان أعمالها مألوفة لدى معظم القراء الأمريكيين وتأثيرها واسع على الكتاب الناشئين • وهي تمتاز بالقدرة على تحليل شخصياتها بعمق رغم اتباعها أسلوباً شديداً الموضوعية • وقد كتبت خمس روايات وثلاث مجموعات قصصية ، نشرت أولها عام ١٩٣٠ •

وتميل فلانري أوكونر (١٩٢٥ - ١٩٦٤) الى اختيار موضوعات غريبة وسوقية كما اعترفت هي نفسها بذلك • ولكن قصة « الزنجي الاصطناعي » التي اخترناها لهذه المجموعة توضح أسلوبها الساخر والبعيد عن العاطفية • ورغم ذلك فان بإمكاننا أن نشهد تعاطفها الموضوعي مع شخصياتها وقدرتها على الخروج من هذه الموضوعات بتجارب إنسانية أساسية •

وإذا كان القارئ يتوقع أن يجد في هذه القصص دراسة لعواطف المرأة وشخصيتها وطبيعتها ، فان بعض هذه القصص ستكون عند قلته • لكنه قد يفاجأ حين يجد أن قصة « الزنجي الاصطناعي » لا تكاد تحوي أية شخصية نسوية ، فهي منصبة على شخصيتين رئيسيتين فقط - شخصية الجدة وحفيده - وكذلك فانه

سيلحظ أنه بالرغم من أهمية شخصية الأم في « جنازة النعات » فإنها ليست شخصية رئيسية وأن الأحداث تدور في عالم الرجال . وهكذا فبالرغم من أن الكاتبات الأمريكيات يوجهن اهتمامهن في بعض الحالات لدراسة شخصيات نسوية أو لدراسة مراحل معينة من حياة المرأة ، كما هي الحال في قصة « التخلي عن الجدة وذول » بشكل خاص ، فإن أفق هذه الكاتبات يمتد ليشمل التجربة الانسانية بأكملها .

وبدلاً من الاستطراء في التعليق على قصص هذه المجموعة ، سنتركها الآن للقارئ ليغوص تجربته الخاصة معها ويطلق عليها حكمه الشخصي(*) .



(*) بعض المعلومات المدرجة في هذه المقدمة مستقاة من الكتابين التاليين :

Robert E. Spiller et al., eds., *Literary History of the United States* (New York : MacMillan, 1963).

Sculley Bradley, Richmond Croom Beatty, and E. Hudson Long, eds., *The American Tradition in Literature* (New York : Grosset & Dunlap, 1967).
